

كذبت رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبِّرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ، وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ، وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيٍّ الْمُرْسَلِينَ * وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلْمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ ، فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿ ١ ﴾ .

فانظر إلى الآية الأولى كيف أزالنا الوحشة والحزن عن قلب النبي ﷺ حين ذكرت له أن تكذيبهم ليس لشخصه ، وإنما هو جحود وتكذيب لربه سبحانه . ثم عزاه الله وواساه ببيان سنة الرسل من قبله ، فكلهم قوبلت دعوتهم بالتكذيب وأشخاصهم بالإيذاء ، على ما كُذِّبُوا وأُوذُوا ، ولم يجزعوا أو ييأسوا ، حتى جاءهم نصر الله في النهاية ، وهذه سنة الله لا تبدل لها . فاصبر - يا محمد - كما صبروا ، تظفر كما ظفروا .

وإن شقَّ على نفسك إعراضهم عنك ، وذهبت نفسك عليهم حسرات ، وضاق صدرك بما يطلبون من آيات ، فليس لك إلا الصبر ، وإلا فافعل ما بدا لك ، فإن استطعت أن تبغى نفقاً في الأرض تهرب منه ، أو سلماً في السماء تصعد عليه ، فدونك فافعل .

ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة الحج فيمن يشس من نصر الله ، وقنط من رحمة الله وضاق ذرعاً وخرج صدرأ : ﴿ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ ﴾ (٢) .

ولهذا قيل : الصبر حيلة من لا حيلة له ، لأن الأمر إذا كان بيد غيرك ، لم يكن لك إلا الصبر عليه ، ولأن الشيء إذا كان لا يأتيك إلا قليلاً قليلاً ، وأنت محتاج إليه ، لم يكن لك إلا الصبر عليه ، وإلا انقطع ذلك القليل .

٨ - الحذر من الآفات العائقة عن الصبر :

ولا بد للإنسان عامة ، وللمؤمنين خاصة ، ولحملة الدعوات على وجه أخص ، إذا أرادوا أن يعتصموا بالصبر ، أن يحذروا من الآفات النفسية ، التي تعوقه وتعترض طريقه . من هذه الآفات التي أشار إليها القرآن :

(٢) الحج : ١٥ .

(١) الأنعام : ٣٣ - ٣٥